الحراك الاجتماعي في الدراما المصرية دراسة سوسيو ثقافية لمهنة رجل الدين في مسلسل "جزيرة غمام"

أريج البدراوي زهران

أستاذ علم الاجتماع الثقافي المساعد – مصر

المعهد العالمي للتجديد العربي–أسبانيا

ملخص: اهتم علماء الاجتماع بدراسة الحراك الاجتماعي منذ بدايات القرن العشرين، واعتبره البعض مرادفًا للحراك المهني.

واتضح من خلال البحث أن مهنة رجل الدين من المهن التي تأتي في قمة الهرم الاجتماعي، وذلك من خلال تحليل مسلسل "جزيرة غمام" الذي جسد الصراع بين مهنة رجل الدين ومهنة الحاكم واحتياج كل منهما للآخر. فالحراك الاجتماعي هو الوجه الدينامي لدراسة التدرج الطبقي. كما بين المسلسل الأنماط المختلفة للتدين والتي تتشابه مع التدين في الحياة اليومية للمصريين الآن، كما ثبت صدق رواية فولتير الساخرة "كانديد" عن الأنواع الثلاثة لرجل الدين.

الكلمات المفتاحية: الحراك الاجتماعي، الحراك المهني، رجل الدين، التدين، الدراما المصرية.

Social Mobility in The Egyptian **Drama**

A sociocultural study of the cleric's profession in the TV series "Ghamam Island"

Arij Elbadrawy Zahran

Associate Professor of Sociology of Culture – Egypt

Global Institute for Arabic Renewal-Spain

ABSTRACT: Sociologists have been interested in studying Social Mobility since the beginning of the 20th century, and some consider it synonymous with professional mobility.

It became clear through the research that the cleric's profession is one of the professions that comes at the top of the social hierarchy, through the analysis of the TV series "**Ghamam Island**", which portrayed the conflict between the cleric's profession and the ruler's profession and their need

for each other. Social Mobility is the dynamic aspect of the study of stratification.

The TV series also portrayed the different patterns of religiosity, which are similar to religiosity in the daily life of Egyptians now, as it was proven true of Voltaire's satire "Candide" showing the 3 types of religious officials.

KEYWORDS:

Social Mobility, professional mobility, Cleric, Religiosity, The Egyptian Drama

1. الحراك الاجتماعي؛ صياغة الإشكالية

وضع "لويد وارنر" أستاذ علم الاجتماع بجامعة شيكاغو مقياسًا للحراك الاجتماعي يحتوي على ست خصائص وهي: الثروة، والدخل، والمهنة، والتعليم، ونوع السكن، ومصدر الدخل، وهناك ميل لدى بعض دارسي الحراك الاجتماعي إلى اعتبار المهنة وحدها دليلاً كافيًا للمستوى الاجتماعي الاقتصادي، ومحكًا للحراك الاجتماعي، بل أن الكثير منهم أصبحوا يستخدمون الحراك المهني والحراك الاجتماعي بنفس المعنى.(صلاح الدين محمد أبو الرب، 2017، ص 143) فنجد "سوركين" يؤكد رأي العالم الأمريكي "لويد وارنر" في إعطاء الحراك، وخاصة الاجتماعي منه بعدًا مهنيًا. كما حدد له عدة عوامل منها: التحرك المكاني أو الهجرة، والتعليم والثقافة، والتحولات السياسية والاقتصادية.(فضيلة شبابحة،2018، ص 77)

وفي المجتمع المصري تُعد مهنة "رجل الدين" من المهن التي تحتل مكانة مرموقة في المجتمع منذ القدم، ومن يعمل بها يصنف من الطبقات العليا وذلك عبر التاريخ المصري الذي احتل خلاله رجال الأزهر والمشايخ أدوارًا اجتماعية وسياسية مرموقة، مما جعل بعض العوام يتمثلون سلوكيات تبدو في ظاهرها من سلوكيات مهنة رجال الدين حتى ينالوا احترام ومكانة اجتماعية أعلى.

لذا يسعى البحث الحالي إلى توضيح كيف أن الحراك الاجتماعي الصاعد يتم من خلال تولي مهنة رجل الدين أو المشيخة، وذلك من خلال تناول أحد الأعمال الدرامية المصرية وهو مسلسل "جزيرة غمام"، كمثال لصورة رجل الدين في الدراما المصرية، والكشف عن الحراك الاجتماعي المهني من خلال مهنة إمام الجزيرة فالتدين هنا خرج من إطار التعبد لله إلى مكانة اجتماعية ووظيفة اجتماعية وأحد محركات الحراك الاجتماعي الصاعد. ويرجع اختيار هذ المسلسل بالتحديد إلى إنه تناول ثلاثة نماذج من رجال الدين ورؤيتهم لمكانتهم الاجتماعية وحرصهم على هذا الدور. ووفقًا لمقولات فولتير في روايته الساخرة "كانديد" إن: "رجل الدين الغبي الجاهل يثير احتقارنا، ورجل الدين الشرير الرديء يولد الجزع في نفوسنا، أمّا الناضج المتسامح البعيد عن الخرافات فهو الجدير بحبنا واحترامنا".(حسام كصاي حسين، 2015، ص 116) وهذه النماذج الثلاثة التي عرضها فولتير هي النماذج التي تناولها المسلسل تقريبًا بالإضافة إلى نماذج أخرى ويحاول هذا البحث عرضها والوقوف على أبرز خصائصها. وخاصة أن من الوظائف الاجتماعية للدراما تجسيد الواقع الاجتماعي المعاش فهي تلعب دورًا في فهم المجتمع وتتاثر وتؤثر فيه.

فللدراما أهمية كبيرة في حياتنا، فهي المرآة التي نرى من خلالها تفاصيل عيوبنا وعيوب الآخر، كما أنها تقوم بدور وسائل الترفيه، ولا ننسى الهدف الأكبر منها فهي ومنذ نشأتها كان هدفها أن تعكس الواقع الذي نعيشه، وذلك يشعرنا بالكثير من المواساة، وأيضًا للدراما دور تعليمي كبير في بناء أجيال كاملة. والدراما مادة جذب للجمهور، ونستطيع إدراك مدى أهمية الدراما عندما نجد أن كثيرًا من الجوانب الإعلامية والإخبارية، باتت تقدم بطريقة أقرب إلى الدرامية بقصد شد الجمهور المستمع أو المشاهد الذي يجد متعة في الحكاية وانجذابًا إلى الرواية.(حسن علي قاسم، 2019، ص 184) فتعتبر الدراما التليفزيونية بالإضافة إلى كونها مرآة الحياة وتعد انعكاسًا للاهتمامات الخاصة بالبشر، هي أيضًا قادرة على ربط خبرات الأفراد بالبناء الأخلاقي والقيمي، وتكون قادرة على توسيع تعاطف المشاهدين، وجذبهم بعيدًا عن قيود الواقع؛ لتقودهم إلى رؤية متعمقة أعظم في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد من التشويق والإثارة.(إسماعيل عبد الحافظ، 2014، ص

24) كذلك للدراما دورًا مهمًا في معالجة المشكلات الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، فالمادة الدرامية تتضمن مواقف بها العديد من المشكلات التي تتشابه مع تلك الموجودة في الواقع والتي تهدد القيم الاجتماعية لكنها قابلة للحل عن طريق العمل الجماعي.(سماح عبد الله عبد الحميد، 2017، ص 47)

وأمّا عن تعريف الدراما التليفزيونية Television Drama فهي عمل درامي تليفزيوني قد يكون تمثيلية واحدة أو سلسلة تمثليات تشترك في الشخصيات المؤدية للأدوار في تمثليات مختلفة، أو مسلسل يتكون من حلقتين أو أكثر تتضمن فكرة واحدة، وقد تتضمن إلى جوار القصة الرئيسة قصص فرعية، تهدف إلى تقديم ملامح الواقع المحيط بالجمهور؛ من خلال شخصيات تقوم بأدوار وتقدم بشكل مثير، وتهدف إلى التسلية والامتاع.(إسماعيل عبد الحافظ، 2014، ص 24) وعن تعريف المسلسلات التليفزيونية Grades Television فجاء تعريف المسلسل في قاموس علوم الإعلام والاتصال أنه برنامج درامي شعبي تجري أحداث القصة فيه على حلقات، يتميز عن السلسلة التي تعرض شخصيات ثابتة تواجه في كل جزء مغامرات مختلفة. ويقدم المسلسل في شكل ثلاثية أو خماسية أو سباعية أو خمسة عشر أو ثلاثين حلقة أو ما يزيد. وفي ضوء تعريف الدراما التليفزيونية والمسلسلات التليفزيونية يمكن تحديد تعريف دراما المسلسلات التليفزيونية على النحو التالي: هي عمل فني يتكون من عدد من الحلقات التليفزيونية المتوالية. تتوحد في الفكرة والأهداف، وتحتوي على الشخصيات التي يجمعها صراع ما، يدور حول موضوع قيمي أو إنساني، وتلعب فيه ثقافة الشخصيات، والبيئة الثقافية دورًا مهمًا في التحكم بالصراع، وضبط المواقف والتصرفات.(إسماعيل عبد الحافظ، 2014، ص 25)

وتُعد مصر أول دولة عربية أنتجت المسلسلات العربية التي يقدمها التليفزيون، وقد استمدت فكرتها من التليفزيون الأمريكي، ومن أوائل المسلسلات التي أنتجها التليفزيون المصري (هارب من الأيام) و (الرمال الناعمة) عام 1961. (هبة محمد عفت، 2019، ص 22)

ومن ثم تتمركز **أهداف الدراسة** في عدة أهداف نوجزها فيما يأتي:

- الكشف عن الأشكال المختلفة لرجال الدين كما صورتها الدراما التليفزيونية المصرية.

- مقارنة أشكال التدين كما ظهرت في الدراما التليفزيونية المصرية، بالتدين لدى الفئات الاجتماعية في الحياة اليومية كما توصلت إليه أحد الدراسات الميدانية (أحمد زايد)

- التعرف على سبل الحراك الاجتماعي من خلال مهنة رجل الدين على مستوى المعالجة الفنية.

- الكشف عن الصراع الضمني بين رجل الدين ورجل السلطة كما عكستها الدراما التليفزيونية المصرية.

ومما سبق يمكن تلخيص **أهمية الدراسة** الحالية في نقطتين أولهما:

- المكانة التي يحتلها الإعلام عامة والدراما خاصة في مجال دراسات علم الاجتماع وفي مجال الدراسات الثقافية تحديدًا، ولذا تظهر أهمية الدراسة الحالية لإثراء البحث العلمي في مجال علم الاجتماع الثقافي.

- ومن الجانب الآخر إن موضوع الحراك الاجتماعي على الرغم من قدم الاهتمام به الذي يرجع إلى أوائل القرن الماضي؛ إلا أن الدراسات الخاصة بالحراك الاجتماعي ما زالت تحتاج المزيد من البحث والتمحيص وخاصة الحراك المهني. وتحديدًا مهنة رجل الدين التي على الرغم من أهميتها المجتمعية؛ إلا أن الدراسات الاجتماعية المتعمقة لم تتناولها بالدراسة وتعاني من الندرة.

2. تاريخ دراسة الحراك الاجتماعي:

في عام (1927)، نشر سوروكين Pitirim Sorokin ، أستاذ علم الاجتماع في جامعة مينيسوتا، أول عمل أكاديمي ضخم حول الحراك الاجتماعي. بالاعتماد على نتائج الأبحاث من مجموعة واسعة من المجتمعات التاريخية والمعاصرة، حاول إيجاد انتظام في أنماط وعمليات

الحراك الاجتماعي عبر الزمان والمكان. ولعل أبرز استنتاجين توصل إليهما – وما زال لهما صدى حتى اليوم– أولهما، لم يكن هناك دليل على أيّ ميل للحراك إمّا إلى الزيادة أو الانخفاض بطريقة مستدامة، فقط دليل على "تقلبات عديمة الاتجاه". ثانيهما، على الرغم من أن التعليم في المجتمعات الحديثة أصبح هو القوة الرئيسة للاختيار الاجتماعي، لم يكن هناك سبب لافتراض أنه بهذه الطريقة ظهر عصر جديد من الحراك الاجتماعي الأكبر. يمكن أن يؤدي الاختيار عن طريق التعليم في حد ذاته إلى إعاقة الحراك بقدر ما يعززه. ومع ذلك، كان سوروكين مدركًا جيدًا أن البيانات الموجودة تحت تصرفه كانت محدودة، بل ومجزأة تمامًا. كانت تتعلق في الغالب بالحراك في مواقع أو صناعات معينة أو الحراك بمعنى التوظيف في مجموعات النخبة المختلفة، مثل تلك الخاصة بالقادة السياسيين ورجال الأعمال أو العلماء البارزين والشخصيات الأدبية. كان يفتقر إلى ما أسماه "المادة الإحصائية" اللازمة لوضع حججه في اختبار جاد على مستوى السكان. (Erzsebet Bukodi & John H Goldthorpe, 2019, p1) .

وأكد سوروكين على أن الحراك الاجتماعي يتبين بشكل رئيس عبر الانتقال من إحدى المهن إلى أخرى. هذه الفكرة المستندة إلى المهنة ثبت أنها ذات تأثير بالغ وقادت نحو نشوء مجموعة منوعة من النماذج التراتبية للمهن استنادًا إلى متغيرات كالدخل والوجاهة. وكان أكثر هذه النماذج أهمية ما ورد في كتاب 1967 The American Occupational Structure الذي ألفه بيتر بلاو وأويتس دونكان، وفيه ميزا بين سبع عشرة فئة مهنية وتفحصا الحراك بين الأجيال ضمن الآباء والأبناء. ووجدوا دلائل على درجة مرتفعة من الحراك نحو الأعلى في المجتمع الأميركي، سببها التوسع في فرص العمل في المهن ذات المستويات الأعلى، ومعدلات الخصوبة المنخفضة بين شاغلي هذه المهن، وتقلص فرص العمل في المهن ذات المستويات الأدنى. ولذلك اعتبر بلاو ودونكان أن الحراك يتحدد بقوة بتغيرات واسعة النطاق في البني المهنية.(كريغ كالهون، 2021، ص293– 294)

في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، حدث تقدم كبير في أبحاث الحراك الاجتماعي. لأول مرة، تم إجراء دراسات حول الحراك بناءً على عينات ممثلة للسكان المحليين. في هذا

الصدد، أخذت بريطانيا زمام المبادرة من خلال البحث الذي أجراه ديفيد جلاس David Glass من كلية لندن للاقتصاد في عام 1949. ثم تم إجراء مزيد من التحسينات بشكل مطرد في تصميم استطلاعات الحراك، في طرق جمع البيانات، وفي وضع المفاهيم والقياس لمعدلات وأنماط الحراك. وفي الوقت نفسه، تم اكتساب فهم أكبر للعمليات الاجتماعية الفعلية التي يحدث من خلالها الحراك أو يتم إعاقته. (Erzsebet Bukodi&.John H Goldthorpe, 2019, p1-2).

يمكن إرجاع إزدهار دراسات الحراك الاجتماعي إلى فترة ما بعد عام 1945، عندما حاول علماء الاجتماع تقييم ما إذا كانت اللامساواة الاجتماعية –عادة ما تتعلق بالطبقة– بصدد النقصان كلما إزدادت المجتمعات ثراء. جادل بعض علماء الاقتصاد في أنه ابتداء من مستويات دنيا لعدم المساواة قبل التصنيع، قاد الانطلاق نحو نمو اقتصادي إلى زيادة في اللامساواة. لكن، عبر الزمن، ومع إزدياد الحراك الاجتماعي، فإن اللامساواة مالت إلى الاستقرار وذهبت في الاتجاه المعاكس. ففي أواخر الستينيات من القرن الماضي، وجدت دراسات في الولايات المتحدة الأميريكية كثيرًا من الحراك الاجتماعي الرأسي، على الرغم من أن هذه الحركة كانت صغيرة للغاية أو محدودة. وكان الحراك طويل المدى، مثلاً، من الطبقة العاملة إلى الطبقة الوسطى العليا لا يزال نادرًا جدًا. أمّا الحراك نحو الأسفل فكان أقل انتشارًا بكثير لأن أعمال أصحاب الياقات البيضاء والمهن الراقية نمت بسرعة أكثر من أعمال ذوي الياقات الزرقاء، جاعلة أبناء العمال أصحاب الياقات الزرقاء قادرين على الانتقال إلى عمل الياقات البيضاء. (أنتوني غيدنز وفيليب صاتن ،2018، ص 181)

وفي عام (1967) قام كل من Blau and Duncan بتحليل البناء المهني الأمريكي باستخدام عينة ممثلة من أكثر من 20.000 رجل أمريكي تتراوح أعمارهم ما بين 20 إلى 64 عامًا. تناولت الدراسة بالتحليل أنماط الحراك المهني والظروف والعواقب لتوضيح جزء من نظام التقسيم الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية. كانوا يرغبون في توفير المعلومات التي قد تؤثر في

السياسة. على سبيل المثال: نظروا إلى تأثير التعليم وعوامل أخرى في الفرص المهنية. (Anna Miller Tiedeman,1999, p343)

في معظم الأدبيات الحالية، على النقيض من الكتاب الأوائل أو الكتاب المعاصرين المنشقين عن الحراك الاجتماعي مثل: شومبيتر Schumpeter (1927) وشتراوس Strauss (1971) ، يتم استخدام مفهوم الحراك الاجتماعي، الذي لم يتم تحديده فيما يتعلق بالجماعات الاجتماعية والسياقات التاريخية أو البنائية، ولكنه يعتبر قابل للتطبيق على جميع الشرائح وأعضاء المجتمعات الصناعية. يُعرف مفهوم الحراك الاجتماعي هذا بأنه حركات ممتدة للأفراد على بعد هرمي واحد، والذي غالبًا يتم قياسه من خلال المكانة المهنية. لاحظ روز Rose (1964) وبورتر Porter (1968)، من بين أمور أخرى، أن الأساس المنطقي لهذه النظرة السائدة إلى حدٍ ما للحراك الاجتماعي، والتي هي فردية للغاية وعامّة للغاية، يبدو أنها تستند إلى مجموعة من الافتراضات المحددة وهي كما يأتي:

– الارتفاع في نسق التقسيم الطبقي، أيّ الحراك الاجتماعي التصاعدي هو توجه قيمي عالمي. كما يقول لوكمان Luckmann وبيرجر Berger: "يشعر الجميع عمليًا بالالتزام بالحراك إلى أعلى/ الحراك التصاعدي كهدف أساسي للحياة". "من خلال روح الحراك، يصبح الدافع المحتمل للبعض بل للكثيرين هدفًا إلزاميًا للحياة للجميع. لم يعد الحراك وسيلة لتحقيق غاية؛ بل أصبح غاية في حد ذاته، وبالتالي معيارًا لقيم أخرى في حياة الفرد". ويصرح ميرتون Merton كبديهة ثقافية: "يجب على الجميع السعي لتحقيق نفس الأهداف السامية لأنها متاحة للجميع".

– يدل حصر مفهوم الحراك الاجتماعي على الحراك الرأسي في البناء المهني على أن بلوغ مرتبة مهنية عالية أو الحصول على المكافآت المرتبطة به هو هدف يتقاسمه الناس عمومًا ويقدرونه تقديرًا عاليًا في المجتمعات، ما زال قيد الدراسة.

– بما أن بُعد الهيبة للبناء المهني هو موضوع القياس، يبدو أنه افترض أن هذا الجانب بالذات من التدرج المهني هو القيمة المشتركة المنشودة في عمليات الحراك أو على الأقل مؤشر جيد وملائم لها. (Walter Muller and Karl Ulrich Mayer, 1971, P. 87– 88)

في حين أن هذه التطورات جلبت أعدادًا متزايدة من علماء الاجتماع إلى مجال البحث –إن الاجتماعات التي تعقد مرتين سنويًا للجنة البحث الدولية الخاصة بالطبقات الاجتماعية والحراك تجتذب الآن مئات المشاركين– فإن أيّ اهتمام أوسع بقضايا الحراك الاجتماعي لفترة طويلة ظل عرضيًا وسريع الزوال. ولكن في الماضي القريب، تغير هذا الوضع بشكل كبير. في بريطانيا، ثم في الولايات المتحدة، والآن في عدد من المجتمعات الأخرى المتقدمة اقتصاديًا، لم يعد الحراك الاجتماعي مجرد موضوع بحث أكاديمي مقصور على فئة معينة وأصبح مصدر قلق سياسي مركزي، بينما في نفس الوقت يجتذب اهتمام وسائل الإعلام بشكل سريع. أيّ شخص يشك في هذا عليه إدخال «الحراك الاجتماعي» في محرك البحث على الويب. (Erzsebet Bukodi & John H Goldthorpe, 2019, p2) لذا تهتم الدراسة الحالية بموضوع الحراك الاجتماعي وفيما يلي عرض لبعض التعريفات التي تناولته وللأنماط المختلفة للحراك الاجتماعي، فهناك: الحراك الاجتماعي الأفقي والحراك الاجتماعي الرأسي، والحراك الاجتماعي الصاعد والحراك الاجتماعي الهابط، والحراك الاجتماعي بين الأجيال والحراك الاجتماعي بين الجيل الواحد، والحراك الاجتماعي المطلق والحراك الاجتماعي النسبي.

3. تعريف الحراك الاجتماعي :

يقصد "شبرد" بالحراك الاجتماعي انتقال بعض الأفراد أو الجماعات من طبقة اجتماعية إلى أخرى. أو انتقالهم داخل الطبقة الاجتماعية نفسها إلى شرائح مختلفة. وكذلك انتقال معظم أفراد الطبقة إلى وضع اجتماعي إنتاجي آخر سواء كان ذلك صعودًا أو هبوطًا في التركيبب الطبقي للمجتمع. بينما يعرف "هورتون" الحراك الاجتماعي بأنه عملية الحركة من وضع اجتماعي إلى آخر داخل البناء الاجتماعي. (ياسمين يسري خليل، 2016، ص 208–209) ويُعرفه "كيرت ماير" على أنه الوضع الذي يشير إلى إمكانية الأشخاص في التحرك إلى الأسفل أو إلى أعلى

الطبقة، أو المكانة الاجتماعية على هرم الترتيب الاجتماعي. كما أن الحراك تجربة اجتماعية تخضع لاحتمالية النتائج، ففي التجارب الاجتماعية تختلف الأمور عن التجارب المادية، فالحراك الاجتماعي والتغير الناتج عنه، يخضع للأحكام الأخلاقية والجمالية والمنطقية معًا، من خلال بناياته وحيثياته وسيرورته ونتائجه.(فضيلة شبابحة،2018، ص 78) ويرى "ملر" أن الحراك الاجتماعي يتضمن الحركة ذات المعنى في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للفرد أو للطبقة، وهذا يؤكد على أن الحراك الاجتماعي مرتبط بالتغير الاجتماعي. ويذهب "بونج وماك" إلى أن الحراك الاجتماعي يعني الحركة داخل البناء الاجتماعي. بمعنى تغير الوضع الاجتماعي في البناء الطبقي، وقد تكون هذه الحركة في مكانة الفرد أو الجماعة أو الفئة الاجتماعية ككل. وبصورة أخرى فإن الحراك الاجتماعي ما هو إلا عملية اجتماعية تشير إلى الحركة داخل البناء الاجتماعي. (عبد الله العبد النبالي،2019، ص 159)

مفهوم الحراك الاجتماعي مفهوم معقد ومتعدد الأبعاد. ويستند هذا العامل إلى الطبقات الاقتصادية أو الدين أو القوة الجسدية أو الجنس أو النظام الطبقي. يمكن تحديد شخص ما على أنه ينتمي إلى فئة أو طبقة معينة بحلول ولادته. عليه أن يلتزم بعادات وخصائص الطبقات التي ينتمي إليها. يشير الحراك الاجتماعي إلى عملية يتحول فيها بعض الأفراد أو الفئات الاجتماعية من طبقة اجتماعية إلى طبقات أخرى في التسلسل الهرمي الاجتماعي؛ بل هو أساسًا تغيير الوضع الاجتماعي. يمكن أن يكون الحراك الاجتماعي ناتجًا عن العديد من العوامل من جانب، قد يتبنى الأفراد أو المجموعة أسلوب حياة، واعادات غذائية وملابس وطقوس طبقة أعلى أو قد يكتسب الموارد الاقتصادية، والتعليم والسلطة السياسية وما إلى ذلك عندما تكتسب الطائفة المعينة الخصائص السابقة فإنها تدرك أنها مساوية للمستوى الأعلى. على الجانب الآخر، يجب أن يكون البناء الاجتماعي للمجتمع والإطار القانوني وعقلية بقية المجتمع على استعداد لقبول هذا التغيير، فهذه العوامل تؤدي إلى الحراك في المجتمع. الحراك الاجتماعي هو مصطلح أوسع بكثير ويتضمن داخله التغييرات التصاعدية والهبوطية في الوضع الاقتصادي أو السياسي أو المهني للفرد أو لمجموعة بأكملها على الرغم من تنوع المصالح .P.Chenna Reddy.2022).

(p117 فمن الواضح أن قياس الحراك الاجتماعي يعتمد على البناء الطبقي العام للمجتمع، وترتيب المهن داخل هذا المجتمع، والطرق المتاحة عبر المهن، والتداخل بين الطبقات الاجتماعية، وكيف تتلاءم معًا داخل البناء السياسي. يمكن تصنيف الأنواع المختلفة من الحراك الاجتماعي وفقًا للأنماط المختلفة لرأس المال المستخدم في حدوث الحراك: يشير رأس المال الاقتصادي إلى المال والأصول المادية والقدرة على الحصول على الائتمان؛ ويشير رأس المال الاجتماعي إلى الموارد التي يمكن لأيّ شخص الحصول عليها بسبب عضويته الاجتماعية وإمكانية الوصول إلى "الأشخاص الذين يمكنهم مساعدته"؛ ويشير رأس المال الثقافي إلى الميزة التي يتمتع بها الشخص بسبب تعليمه أو البيئة الثقافية التي نشأ فيها. فالنظرية هي أن الأفراد الذين يمتلكون الأنواع الثلاثة من رأس المال يكتسبون طبقة اجتماعية أعلى. (Anthony Kelly, 2017, p127)

يقصد بالحراك الاجتماعي القدرة على تغيير مكانة الفرد أو وضعه الاجتماعي، ويرتبط مفهوم الحراك الاجتماعي بمفهوم الدور والمكانة، فتغيير الفرد لدوره يعتبر حراكًا، وقد ينتج عن هذا التغيير تغيرًا في المكانة، فقد يصعد الإنسان إلى وضع أعلى أو أدنى فيكون حراكًا رأسيًّا Vertical، أمّا إذا انتقل الإنسان من دور إلى آخر له نفس مكانة الدور فيعتبر الحراك أفقيًّا Horizontal. كانتقال شخص من العمل في وظيفة حكومية إلى وظيفة حكومية أخرى في المستوى نفسه.(نبيل عبد الهادي، 2001، ص 140 وكذلك عبد العزيز عبد الله الدخيل، 2013 ،ص176) يعني الحراك الاجتماعي حركة الأفراد والجماعات بين مواقع اجتماعية واقتصادية مختلفة. الحراك العمودي هو الحركة إلى أعلى أو إلى أسفل على السلم الاجتماعي والاقتصادي. ومن ثم، فالناس الذين يزداد دخلهم ورؤوس أموالهم ومكانتهم يُقال إنهم في حراك إلى الأعلى. بينما هؤلاء الذين يتردى موقعهم الاقتصادي أو مكانتهم فإنهم يتحركون إلى أسفل. هناك أيضًا في المجتمعات الحديثة كثيرًا من الحركة الجغرافية لأن الناس يتنقلون إلى جهات جديدة بحثًا عن العمل ويعرف هذا بالحراك الجانبي. وغالبًا ما يستطيع هذان النوعان من الحراك أن يصاحب بعضهما بعضًا، نظرًا إلى أن الأفراد قد يحصلون على ترقية تتطلب التنقل إلى فرع جديد للشركة

نفسها التي يعملون فيها، في مكان آخر وربما حتى في الخارج.(أنتوني غيدنز وفيليب صاتن، 2018، ص 182)

ويعتمد الحراك في كل مجتمع على عدد من العوامل الاجتماعية مثل: التقسيم الطبقي الاجتماعي، وحجم المجتمع، وطبيعة الأسرة، والتعليم، ودرجة التقدم التكنولوجي والصناعي، والنظام السياسي، والفرص الاقتصادية وما إلى ذلك. وهذه العوامل الاجتماعية الموضوعية، إلى جانب الدوافع والتطلعات الذاتية، تخلق الظروف التي تفسر بشكل رئيس درجة الحراك الاجتماعي. فالنظام الاجتماعي ما قبل الصناعة، حيث كانت المجتمعات الريفية والحضرية معزولة اجتماعيًا عن بعضها البعض، قدمت مجالًا محدودًا للتطلعات الشخصية، وفرصًا أقل للصعود الاجتماعي للأفراد من النظام الصناعي الحديث.(S.M Duber.1975. p.76)

يعرف الحراك الاجتماعي ضمن الجيل الواحد على أنه: التغيرات في الطبقة الاجتماعية الحاصلة في مدة حياة واحدة. أمّا الحراك الاجتماعي الممتد لأكثر من جيل فيعرف على أنه: التغيرات في الطبقة الاجتماعية الممتدة من جيل الآباء إلى جيل أبنائهم. وتعتبر هذه التعريفات مفيدة على وجه الخصوص عند تحليل كيفية تغير الوضع الاجتماعي من فترة زمنية إلى أخرى. ومعرفة ما إذا كان الوضع الاجتماعي للأبوين قد أثر في مستوى الفرد من خلال ملاحظة التغيرات عبر الأجيال على عكس الجيل الواحد. وتساعد هذه المعلومات العلماء على تحديد الاختلاف في التغيرات الثقافية عبر الزمن.(عبد الله العبد النبالي،2019، ص157)

وبناء على ذلك، فإن الحراك الاجتماعي يعبر عن عملية اجتماعية ينتقل من خلالها الفرد أو المجموعة من وضع اجتماعي معين إلى وضع آخر. لهذا يربط بعض الباحثين بين الحراك الاجتماعي وظاهرة أعم وأشمل وهي ظاهرة التغير الاجتماعي التي يتعرض لها الأشخاص أو الجماعات، حيث تنتقل أو تتحول من وضع اجتماعي معين إلى وضع آخر، ومن مكانة اجتماعية معينة إلى أخرى، وذلك حسب اختلاف الزمان والمكان.(عبد الله العبد النبالي،2019، ص158)

إن الحراك الاجتماعي له جانبان أساسيان وهما: ضمان وجود وظائف أفضل لكل جيل متعاقب، حتى يتمكن أطفالنا من القيام بعمل أفضل منا. والتأكد من وجود فرص أكثر عدلاً، حتى تتاح للجميع فرصة الوصول إلى تلك الوظائف بما يتماشى مع إمكاناتهم. (Geoff Payne. 2017, P.65)وبذلك نجد أن الحراك ليس واحدًا وإنما يتخذ صورًا مختلفة، فهناك الحراك داخل الجيل، أيّ الذي يحققه الفرد عبر حياته، وهناك الحراك بين الأجيال، أيّ ذلك الذي يحققه الفرد مقارنًا بالموقع الذي كان يحتله أبواه والحراك في الحالتين ليس حراكًا مطلقًا يترتب عليه تغير كلي في بناء الطبقات في المجتمع وإنما هو حراك نسبي يتيح للأفراد الحركة داخل بناء طبقي ثابت. وفي ضوء ذلك فإن الحراك الاجتماعي لا يمكن أن يكون حراكًا مطلقًا، بل هو أيضًا حراك نسبي. ومن هنا كانت التفرقة بين الحراك الاجتماعي المطلق Absolute Social Mobility والحراك الاجتماعي النسبي Relative Social Mobility، حيث يشير الحراك المطلق إلى انتقال جماعات من الأفراد من طبقة إلى أخرى أو من شريحة إلى أخرى، وهو يحدث في حالات التغير الواسع النطاق الذي يحدث على أثر تغير البناء المهني أو الصناعي للمجتمع الذي قد يؤدي إلى تحول أعداد كبيرة من السكان من الأعمال اليدوية إلى الأعمال الإدارية والخدمية. أمّا الحراك النسبي فهو الحراك الذي يحدث بين الطبقات عبر انتقال أفراد من طبقة إلى أخرى دون حدوث تغيرات جذرية في بنية الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية.(أحمد زايد، 2008، ص 1-2) يُقاس الحراك الاجتماعي المطلق بالنسب المئوية لحركة الأفراد من طبقة المنشأ إلى الطبقة المرغوبة، بينما يشير الحراك النسبي إلى قوة الارتباط بين هذه الفئات. اعتاد أن يتم تحديد حجم الحراك النسبي من حيث «نسبة الاحتمالات» التي تشير إلى مدى اختلاف فردين من طبقات مختلفة من الأصل الاجتماعي فيما يتعلق بفرصهم في أن يكونوا موجودين في طبقة واحدة، وليس في الأخرى، من كل فردين من الطبقات المرغوبة. وبما أن الحراك النسبي يتم تحليله من حيث نسبة الاحتمالات، فإنه لا يعتمد على توزيعات الأصل الاجتماعي والطبقات المرغوبة، على عكس معدلات الحراك المطلق، التي تتأثر بها. عند تقدير الحراك النسبي، نحتاج فقط إلى مقارنة فرص الطبقات الاجتماعية المختلفة (بالنسبة للحراك المطلق، لا يلزم إجراء مثل هذه المقارنات). وهذا يجعل من الممكن تحديد إلى أيّ مدى يختلف معدل الحراك الاجتماعي

الملحوظ عن الحالة الافتراضية لتكافؤ الفرص، والتي هي «مجموعة مشتركة» في جوهرها – يوجد تكافؤ الفرص عندما تكون فرص تحقيق وضع اجتماعي معين هي نفسها بالنسبة لأي زوج من الطبقات ذات الأصل الاجتماعي. (Irina Tomescu Dubrow et.al .2018.p84)

وهذا التفسير معقد بسبب التمييز بين الحراك المطلق والحراك النسبي. ففي تفسير الحراك المطلق يشير علماء الاجتماع إلى أن معدله ناتج في المقام الأول عن اتجاه عالمي نحو تقليص فئات مهنية معينة تمثل المجالات التقليدية من الاقتصاد (المزارعون والعمال اليدويون) وزيادة نسبة العمال غير اليدويين، وخاصة المتخصصين في المناصب العليا. وتميل هذه التغييرات الهيكلية إلى "فرض" بعض الحراك من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا، الذي لا يجب أن يؤدي إلى قدر أكبر من تكافؤ الفرص، مع تحديد الحراك النسبي. يمكن للفرد أن يتخيل بسهولة أنه على الرغم من التدفق الكبير للمهنيين من الطبقة العاملة أو الفلاحين، فإن النصيب النسبي لهذه المناصب (عادة ما تكون "المتميزة") يظل دون تغيير عند مقارنته بمعدلات التدفق. (Irina Tomescu Dubrow et.al .2018.p83)

فيما يتعلق بالمعنى الاجتماعي للحراك الاجتماعي المطلق والحراك الاجتماعي النسبي، يمكن القول إن الأخير يشير إلى المعايير الاجتماعية "التي تحكم" عمليات الحفاظ على المراكز الاجتماعية أو الانتقال من مركز إلى آخر. تمثل هذه المعايير علاقات "السلطة/القوة" الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية بين الطبقات والمهن والطبقات الأخرى وتتجلى في التمييز بين الموارد الاجتماعية التي تسهل أو تعيق الحراك أو الاستقرار لأفراد هذه الفئات. (Irina Tomescu Dubrow et.al .2018.p84)

4. الحراك الاجتماعي وفق نظريات الطبقة:

تؤكد دراسة الحراك الاجتماعي Social Mobility على ضرورة توازن المجتمع وتكامله، وليس هذا عن طريق التناقضات الطبقية، ولكن عن طريق الصعود والهبوط على سلم التدرج الطبقي. فقد إزدادت في السنوات القليلة الماضية أهمية موضوع الحراك الاجتماعي في التراث

السوسيولوجي، لذلك فالحراك الاجتماعي؛ هو الوجه الدينامي لدراسة الطبقات والتدرج الطبقي.(فضيلة شبابحة،2018، ص 78)

ركزت النظرية الاجتماعية الكلاسيكية والكثير من الأبحاث التطبيقية حول عدم المساواة الاجتماعية والتقسيم الطبقي الاجتماعي على آليات إعادة الإنتاج الاجتماعي، وتهدف دراسات الحراك الاجتماعي إلى فهم كيفية وقف إعادة الإنتاج الاجتماعي أو التغلب عليه. نظرًا لمنطق وسلطة إعادة إنتاج الطبقة الاجتماعية، فإن الحراك التصاعدي للأفراد أو للجماعات ليس هو القاعدة. إن العمل في طريقك من الطبقات الدنيا في المجتمع هو عملية تتعارض مع قواعد إعادة الإنتاج. على هذا النحو، فإنه أحيانًا يبدأ تغيير اجتماعي على نطاق واسع: مثال ذلك؛ كيف أدى حراك النساء من أسر الطبقة العاملة عن طريق التقدم التعليمي في الستينيات في العالم الغربي إلى تسريع التحرر عبر المجتمع. غالبًا ما يعمل الصاعدون اجتماعيًا الذين نجحوا في شق طريقهم كنموذج يحتذى به للآخرين. (Jens Schneider et al, 2022. p.6)

تظهر الإيديولوجيا الرأسمالية على قدر كبير من الوضوح في توجيه التحليلات التي يقدمها علماء الاجتماع الرأسماليين في تركيزهم على المنافسة الاقتصادية الحرة، وأثرها في تحديد مواقع ونفوذ الأفراد. فلقد أكد عالم الاجتماع الأمريكي "روس" E.Ross أن المجتمع يتصدع عادة من جراء النزعة التنافسية التي تؤكد دائمًا على أن الفقير هو فقير بطبعه، وأن هؤلاء الفقراء التعساء الذين يحتلون مكانًا غاية في التواضع على سلم المجتمع يرجع السبب في وضعيتهم هذه إلى فشلهم أو فشل آبائهم في الاختيارات المختلفة التي يتيحها النظام التنافسي. فروس يريد بهذا التحليل أن يؤكد على موضوعية النظام الليبرالي الذي يتيح لجميع الأفراد القدرة على التنافس في ظل قدراتهم وكفاءاتهم الخاصة، ومن فشل في حلبة التنافس يكون مصيرة أدنى درجة في سلم التدرج الطبيعي الاجتماعي. (محمد محمد أمزيان، 2018، ص 323)

خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، أصبح من المألوف بالنسبة إلى الباحثين الاجتماعيين تقسيم البُنية المهنية إلى مجموعات تتطابق مع مستويات مختلفة من التفاوت الطبقي

والمادي، المعروفة بالطبقات الاجتماعية. ويعرف" ريد" مثلاً الطبقة الاجتماعية بوصفها مجموعة من الأشخاص تقع في فئات مختلفة على أساس المهنة. كما أكد "باركن" أن العمود الفقري للبنية الطبقية، وبالفعل مجمل نظام المكافآت في المجتمع الغربي الحديث هو الترتيب المهني. فبالنسبة إلى "فيبر" تتألف الطبقة الاجتماعية من مجموعة من تلك الأوضاع الطبقية يكون فيها الحراك الفردي وحراك الأجيال سهلاً ونمطيًا. وتعكس الأُطر الطبقية المهنية نوعًا من الترتيب الهرمي للمهن، على الرغم من أن الافتراضات التي ترتكز عليها تلك التراتبية ليست واضحة دائمًا. ويمكن أن تشمل الدخل أو المنافع المادية الأخرى، والمكانة الاجتماعية والمستوى الثقافي وما إلى ذلك. والمقاييس الذاتية للترتيب المهني، هي تصنيفات تراتبية على نحو مماثل. وارتبط استقصاء التراتبيات المهنية وتحليلها، خصوصًا التصنيفات الذاتية، ارتباطًا وثيقًا بنماذج المجتمع التي شددت على أهمية التضامن الاجتماعي والترابط الوظيفي المرتبطين بتقسيم العمل في المجتمعات المركبة، بينما ركز تطور التحليل الطبقي النظري والأُطر الطبقية على الانقسام والصراع. وبالتالي ارتبط النموذج المسيطر في علم الاجتماعي الوظيفي الذي تأسس في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، برؤية الطبقة بوصفها تراتبية مكافأت ونفوذ يصنف فيها الأشخاص وفقًا لقدراتهم. وفي نظرية دايفس Davis ومور Moore الوظيفية للشرائح الطبقية عدت بنية التفاوت الاجتماعي آلية يمكن من خلالها توزيع الأشخاص المناسبين والأكفاء في المراكز الوظيفية المهمة في المجتمع، ونتيجة لذلك، كانت مسألة حصول الفرد على المكانة موضوعًا أساسيًا في أبحاث الشرائح الطبقية في الولايات المتحدة. في المقابل عدت نظريات الصراع للشرائح الطبقية، أن تقسيم العمل وتطور الطبقات قد يكونان مصدر صراع ونزاع لا يمكن حله في المجتمع. وينعكس الاختلاف في الأُطر الطبقية التي وضعها كُتاب من أمثال: جولدثورب ورايت، اللذين ارتكز تحليلهما على نقاشات ماركس وفيبر النظرية. كما تم توجيه النقد إلى نظرية دايفس ومور من خلال وجهة نظر وظيفية معدلة تشمل أوجهًا من نظرية الصراع. وقد تساءل بعضهم عن كيفية إمكان عدّ بعض المهن أكثر أهمية من الناحية الوظيفية، بينما تكون جميع المهن في المجتمع المركب ضرورية بالنسبة إلى الكل؟ (روزماري كرومبتون، 2016، بتصرف) وإذا طبقنا ذلك على مهنة رجل الدين يتضح أنها من المهن التي احتلت مكانة وأهمية

أكثر من المهن الأخرى على مر العصور، لأنها تتيح لصاحبها العديد من المميزات الثقافية والعلمية فيصبح أعلى علمًا من الطبقات الأخرى، كما أنها تتيح مميزات مادية، وتسمح لصاحبها بالتحكم في مصائر العامة باسم الشرع والفقة مما يتيح لهم السلطة التي يستفيد منها رجل الحكم ويسعى إلى التقرب منهم أو في أوقات أخرى يسعى لإزاحتهم من المشهد ليخلو له الساحة للسلطة والحكم. ويلاحظ أن هناك مرونة للدخول إلى هذه المهنة ومن ثم حدوث حراكًا مهنيًا يؤدي إلى حراك اجتماعي صاعدًا فهي ليست طبقة مغلقة.

5. التدين والحراك في مسلسل "جزيرة غمام":

يتم التحليل السوسيولوجي لمسلسل "جزيرة غمام" في ضوء نظرية الغرس الثقافي Cultivation Theory، ففي حين أنه توجد العديد من النظريات المختلفة لتأثير وسائل الإعلام في البناء الاجتماعي للواقع، فإن الأبحاث المتعلقة بمساهمة التليفزيون في تصوراتنا للواقع الاجتماعي غالبًا ما تسترشد بنظرية الغرس الثقافي. تفترض نظرية الغرس الثقافي أنه كلما زاد الوقت الذي يقضيه الناس في مشاهدة التليفزيون، كلما زادت احتمالية أن تعكس مفاهيمهم للواقع الاجتماعي ما يرونه على الشاشة. وبالإضافة إلى ذلك، تؤكد نظرية الغرس الثقافي أن الاستهلاك المفرط للتليفزيون يساهم في رؤية متجانسة للعالم الحقيقي(Yahya R. Kamalipour, 1999,p.232) . فنظرية الغرس الثقافي هي واحدة من العديد من النظريات المعنية بآراء الناس حول العالم (بناء الواقع الاجتماعي)، في أبسط أشكاله. تحاول نظرية الغرس الثقافي التأكد مما إذا كان أولئك الذين يقضون وقتًا أطول في مشاهدة التليفزيون هم أكثر عرضة لإدراك العالم بطرق تعكس الرسائل والدروس الأكثر شيوعًا وتكرارًا في عالم التليفزيون ,Nancy Signorielli, 2005) p.19)

وتقوم نظرية الغرس الثقافي على عدة فروض أساسية؛ وهي:

-إن الأفراد في المجتمعات المعاصرة أصبحوا أكثر اعتمادًا على مصادر غير شخصية للخبرة، وإن صناعة الثقافة الجماهيرية التي تعادل تكون الوعي المشترك أصبحت منتجًا تقدمه وسائل الإعلام.

–يختلف التليفزيون عن أيّة وسيلة أخرى وأنه مقارنة بهذه الوسائل الأخرى ينفرد بالاستخدام غير الانتقائي من قبل الجمهور، أن الناس يمتصون المعاني المتضمنة في عالم التلفزيون بشكل غير واعٍ.

–التعرض التراكمي للتليفزيون؛ حيث إن خلق وجهات نظر وغرس معتقدات لدى آخرين يرجع إلى التعرض التراكمي الثابت والمتكرر لعالم التليفزيون.

–يقدم التليفزيون عالمًا متماثلًا من الرسائل الموحدة والصور المتكررة إلى الحد الذي يعتقد معه المشاهدون أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يصور بها من خلال التليفزيون.

–يؤكد وجود ارتباط قوي بين حجم المشاهدة ومعتقدات المشاهدين حول الواقع الاجتماعي، بحيث تتشابه إدراكات كثيفي المشاهدة، ويظهرون أحيانًا إدراكات ترتبط بعالم التليفزيون أكثر من ارتباطها بالواقع الموضوعي.(محمد كحط الربيعي وحسين الانصاري، 2015 ، ص 114–115)

وهذا ما نجده في مسلسل "جزيرة غمام" فهو مسلسل تليفزيوني مصري عُرض في عام (2022) في شهر رمضان –تأليف "عبد الرحيم كمال"– وتم عرضه مرة ثانية على قناة (dmc) و (dmc دراما) في (يناير 2023). وهنا نجد تكرار العرض الذي ركزت عليه نظرية الغرس الثقافي، وخاصة أن هذا المسلسل متوافر في المنصات الإلكترونية كمنصة: شاهد وWATCHIT ، وعلى اليوتيوب أيضًا.

وبالإضافة إلى تراكم العرض نجد أن هذا المسلسل حصد العديد من الجوائز في مهرجان القاهرة للدراما في دورته الأولى (سبتمبر 2022) وهي: جائزة أفضل مسلسل، وأفضل ديكور، وأفضل تصوير، وأفضل مؤلف، وأفضل ممثل وهي الجائزة التي حصل عليها "أحمد أمين" في دور"عرفات"، وأفضل ممثل في دور ثاني والتي حصل عليها "رياض الخولي". وكذلك كرم المركز الكاثوليكي للسينما أبطال المسلسل.

وعن قصة المسلسل فهي تدور في إحدى القرى الموجودة على البحر الأحمر، وتحديدًا مدينة القصير التابعة لمحافظة البحر الأحمر. ويُطلق عليها جزيرة غمام وهي جزيرة متخيلة فهي لا تحيطها المياه ولكن أُطلق عليها جزيرة وفق العادة. وترجع الأحداث كما ذُكر في أول حلقة إلى

عام 1914 في عهد الخديوي عباس الثاني، فيبدأ المسلسل بزيارة الرئيس المصري الراحل (محمد أنور السادات) لقرية "أولاد عرفات" عام 1977. حيث افتتاح مسجد المدينة وصلاة الظهر. ويذكر إمام المسجد أثناء الخطبة بعد تأدية الرئيس للصلاة وسط المصلين، حقيقة أن اسم القرية السابق كان "جزيرة غمام" ويحكي الراوي وهو إمام المسجد قصة الجزيرة.

ونتعرف على أولاد الشيخ "مدين" شيخ الجزيرة –الذي توفى في بداية المسلسل– وهم ليسوا أولاده بل هم مريدوه أو أبناؤه بالتبني وهم: "محارب" و"يسري" و"عرفات". وهؤلاء هم النماذج الثلاثة التي سوف نتناولهم بالتحليل كما أننا نعرض للتدين بين أهل الجزيرة أيضًا ليتضح أهمية مهنة رجل الدين التي بها يعلو الفرد في سلم الطبقات الاجتماعية.

من خلال مقارنة تلك الأنماط الموجودة في مسلسل "جزيرة غمام" بأنماط التدين في الحياة اليومية تلك الدراسة التي قام بها "أحمد زايد" يتضح بعض التشابهات، وفيما يلي عرض لأشكال التدين كما تظهر لدى كل الفئات الاجتماعية في الحياة اليومية كما جاءت بتصنيف "أحمد زايد" وهي:

–النمط الأصلي أو المنشئ Archetype للتدين: وهو النمط الذي عرفه المجتمع المصري لفترات طويلة. والذي ما يزال يوجد لدى قطاعات من السكان الأقل اتصالًا بالثقافة الحديثة. ويقوم السلوك الديني هنا على أداء الواجبات الدينية الأساسية. والتدين هنا مسئولية فردية. وتختلط المعتقدات الدينية بالمعتقدات الشعبية. ويشكل التدين هنا مصدرًا هامًا لتحقيق الرضا والقناعة والأمن. ولا تظهر هنا أيّة مبالغات في الممارسات الدينية أو الرموز الدينية. (أحمد زايد، 2005، ص 85)

–النمط الطقوسي Ritualist : ويعكس التدين في هذا النمط رؤية متسقة للعالم تستمد أساسها من المعتقدات الدينية. فالدين هنا يتحول إلى مصدر أساسي للأخلاق. ومن ثم فإن التدين لا ينعكس فقط في الحرص الشديد على أداء الفرائض الدينية، ولكن في السعي الدائم نحو التعليم الديني الذاتي. وغالبًا ما يكون رب الأسرة هو مصدر هذه الرؤية المتسقة للعالم. ويقبل بقية أعضاء الأسرة هذه الرؤية. (أحمد زايد، 2005، ص 85– 86)

–النمط الشكلاني Formalistic: يظهر الفرق الجوهري بين هذا النمط والنمط السابق عليه في درجة الاتساق بين المعتقدات الدينية والنظم الأخلاقية للفرد. فالمشاعر الدينية لدى هذا النمط هي مشاعر غير عميقة، حيث يهتم الفرد بطريقة أدائه للفرائض الدينية أمام الناس أكثر من علاقته بذاته. (أحمد زايد، 2005، ص 86–87)

–النمط النشط سياسيًا Activist: وهنا يكتسب التدين طابعًا سياسيًا، محاولاً أن يتجاوز العالم المعاش من أجل تغييره.

–النمط الأبوي Patrimonial: والتدين هنا يشبه النمط الشكلي، ولكنه يتميز باستخدام الدين استخدامًا سياسيًا واقتصاديًا. ويحتفظ هذا النمط بكل رموز التدين الشكلاني، ولكنه يبالغ في عمليات التراكم الرمزي من خلال المبالغة في الإحسان والزكاة وبناء المساجد وتوزيع الأطعمة. وتزداد هذه الممارسات بشكل ملحوظ في مناسبات بعينها كأيام الانتخابات أو افتتاح عمارة سكنية جديدة أو إنهاء تعاقد على صفقة معينة. وغالبًا ما يتبلور هذا النمط حول شخص يطلق عليه الحاج وهو السيد له علاقات عصبانية متعددة. (أحمد زايد، 2005، ص 87–88)

ويتشابه شكل التدين عند "محارب" في المسلسل مع النمط النشط سياسيًا في الحياة اليومية، حيث يسعى إلى تغيير العالم المعاش، ويستخدم التدين هنا كوسيلة للقوة والسيطرة، وخاصة أن الشيخ "مدين" قد وهبه المشيخة من بعده.

وكما جاء على لسان "محارب" عند تشجيع شباب القرية الذين يحضرون للاستماع إلى خطبه أنهم سيصبحون "أسود" و "أسياد" و "ملوك" من خلال مراقبة الناس وفرض الممارسات الدينة بالقوة عليهم من خلال فرض ما يرونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجهة نظرهم، وذلك بعد أن قام بتدريبهم تدريب بدني قوي. فهو بمثابة "رجل الدين الشرير الرديء الذي يولد الجزع في نفوسنا" عند فولتير. ويلاحظ إصرار "محارب" على لقب "شيخ" والذي يتمسك به ويذكر أن "عرفات" ليس شيخ. لما لهذه الكلمة من دلالات سلطوية ومكانة اجتماعية ويحرص في العديد من المواقف على فرض رأيه على رأي "العجمي"، الذي يمثل السلطة في الجزيرة فهو عمدة الجزيرة– الذي يحكم الجزيرة بالقوة وقد ورث المنصب من عائلته– ولكن "محارب" عند فرض رأيه يدعي دائمًا أن هذا رأي وصوت الحق وصوت الدين ليكتسب مكانة أعلى.

في أوائل دروس "محارب" للشباب ذكر أن هذا ليس درس علم بل درس أهم ليثيرهم للاستماع إليه وأوضح أنه هنا مكان الشيخ "مدين" وأنه هو وهم "بدون الشرع ولا حاجة" وهنا يظهر أهمية التدين لنيل المكانة الاجتماعية. وقوله كذلك "أنتم بالشرع هتبقوا ملوك الجزيرة"، "الفرصة قدمكم لتبقوا أسود وملوك لتبقوا صعاليك الجزيرة، تبقوا سفهاء ولعبة في يد عجمي وبطلان". فصار رجاله يفرضون على السيدات تغطية الرأس وفرض الصلاة بالقوة، ويهدون خيم "خلدون".

ويتضح أهمية مهنة رجل الدين والدور الذي تلعبه هذه المهنة من خلال التصارع على إعتلاء المنبر بما فيهم "خلدون" والذي يمثل رمز الشيطان أو الغواية في المسلسل، والذي جاء في قارب مع جماعته "طرح البحر" وهم من الغجر ومعه غازية تدعي "العايقة" واسمها الحقيقي "نوارة" وقد اشتراها وهي صغيرة وتبحث عن قبر أبيها وأمها. وتتمثل غواية "خلدون" لأهل القرية في لعب القمار وإدمان المخدرات مستغل جمال "العايقة" وكذلك في إثارة الوقيعة بين الناس ونشر الفتن وقد استغل معرفته بخطايا أهل الجزيرة التي عرفها من خلال السجل الخاص بالشيخ "مدين" ومنحه لعرفات عند احتضاره، إلا أن خلدون سرقه واستغله لينصب نفسه شيخ وإمام الجزيرة ويخطب في الناس. وتبلغ مكانة مهنة رجل الدين ذروتها عندما نعلم نبوءة الشيخ "مدين" بأن في هذه اللحظة ستعم الزوبعة على الجزيرة ولن ينجو منها سوى الطيبين أصحاب القلوب الطيبة وبالفعل تتحقق النبوءة. فمصير الجزيرة مرهون بمهنة رجل الدين.

ويظهر الصراع على المكانة والسلطة بين رجل الدين والحاكم أيّ بين "عجمي" و"محارب" عندما هدم اتباع "محارب" خيام "خلدون" و"طرح البحر" وسعى "محارب" على فرض رأيه وهو مغادرة "خلدون" للجزيرة بينما أصر "عجمي" على بقائهم بل وحمايتهم وذلك بتحريض من "بطلان" – الذي يسعى لأن يصبح العمدة– و"عجمي" هنا يحتل المكانة العليا بسبب منصبة السياسي وهو منصب العمدة ويمتلك المال وكذلك التدين وهذا يظهر عندما قال "بطلان" لمحارب: "أنت هتعلم الحج عجمي الحق والدين دلوقت يا شيخ محارب" وبذلك يؤكد على مكانة العجمي ليست فقط بحكم منصب العمدة بل كذلك بفضل تدينه وحجه لبيت الله.

بينما "يسري" وهو الابن الثاني للشيخ "مدين" والذي وهبه منزله بعد وفاته، فيقوم بعمل الأحجبة ووصف العلاجات باستخدام الشعوذة. وهو بذلك يمثل رجل الدين الغبي الجاهل الذي يثير

احتقارنا عند فولتير. وحتى زوجته تحتقره وتقلل من مكانته بل وتشمت به عندما اختفت عنه الأضواء. ويمثل "يسري" النمط الشكلاني في تدين الحياة اليومية، حيث الحرص على القيام بالفرائض الدينية أمام الناس أكثر من علاقته بذاته وربه. فيظهر ذلك في نظرته للعايقة وقد فتن بها، كما أنه قام بطرد "عرفات" من منزل الشيخ "مدين" فور وفاته مع علمه بأن "عرفات" يتيم وليس لديه مسكن يعيش فيه ولم ينتظر حتى يدبر أمره مما جعل "عرفات" يبيت في الشارع، فالمشاعر الدينية ليسري هي مشاعر زائفة غير عميقة، وقد عبر عن ذلك "عرفات" في المناظرة الدينية التي أُجريت في الجزيرة بينه وبين "محارب" وبحضور "يسري" و"عجمي" وأهل الجزيرة، فأوضح أن العلم بالدين يرتبط بطهارة القلوب وبالأفعال التي تنفع الناس واستشهد بما فعله "يسري" و"محارب" به على الرغم من أنهم بمثابة الأخوة وتربوا معًا في منزل الشيخ "مدين".

وأمّا عن تدين "عرفات" فهو المتدين الراضي والمتطوع لتعليم صغار الجزيرة، ويدعو إلى المحبة ويهتم بالجوانب الروحانية في التدين ويرتبط الخير به وبغيابه يغيب الخير عن الجزيرة، فهو بمثابة المنقذ للجزيرة من الخراب الذي حل عليها فيما يعرف بالزورعة حيث بنى ما أسماه كهف الجزيرة، وهو كذلك الند "لخلدون". فهو يمثل رجل الدين الناضج المتسامح البعيد عن الخرافات، الجدير بحبنا واحترامنا كما يرى فولتير. أو هو يمثل نمط التدين الأصلي أو المنشئ للتدين في الحياة اليومية في دراسة "أحمد زايد"، وهو ذلك النمط الذي وجد في المجتمع المصري لفترات طويلة. حيث يقوم بأداء الواجبات الدينية الأساسية من صلاة وصوم ولا يحفظ الشرع وأحكام العبادات والفقه، وقد ظهر ذلك عندما لم يجب عن تساؤلات "يسري" له عندما طلب منه ذكر سنن الوضوء، وتناول طهارة القلوب بدلاً من معرفته بالسنن. ويشكل التدين هنا مصدرًا لتحقيق الرضا والقناعة والأمن فقد كان دائم الرضا ومحب لله وواثق في قدرته وقانع بقدره. ولا مجال للمبالغة في الممارسات الدينية عند "عرفات" أو التمسك بالرموز الدينية كلقب الشيخ أو السير بالسبحة طوال الوقت فهي عنده تؤدي وظيفة فقط وهي التسبيح وذكرى من شيخه "الشيخ مدين" وليست رمز من رموز المكانة الاجتماعية، وقد تخلى عنها عندما كان تائهًا في الصحراء وقايضه أحد البدو بالماء نظير سبحته، وإن كان مرغمًا لأنها سبحة الشيخ "مدين" شيخه الذي منحه إياها عند وفاته، كما أعطاه الكراسة التي دون فيها كل شيء عن أهل القرية وذنوبهم أو

أخطائهم. وذلك لأن "عرفات" عند احتضار الشيخ "مدين" لم يطلب سوى الرضا على الرغم من أن الشيخ "مدين" طلب الانفراد بعرفات وتحدث معه وكان الأقرب إليه من "يسري" و"محارب". إلا أن رضا "عرفات" وعدم طمعه في الشيخ "مدين" قد جعله يخسر المنزل والمنزلة. إلا أنه كان باختياره التنازل عن المكانة التي يحصل عليها من خلال مهنة رجل الدين، فنجد عند رمي أهل الجزيرة له بالباطل عندما جاءت "العايقة" إلى منزله –الذي منحه له "عجمي" بعدما علم من ابنته أن عرفات لا مسكن له– بتحريض من "خلدون" ولوم أهل الجزيرة له لانفراده بامرأة لا يحل لها فقالوا: "أنت شيخ أنت!!!" كان جوابه "عمري ما قولت على روحي أكده". ولكنه لم يتخلى عن دوره في نشر المحبة والخير في الجزيرة كلما أتاحت له الفرصة، فنجده يحث الناس على الفرح وحسن الظن بالله عندما كان "محارب" يخطب فيهم ويرهبهم من الله ويخوفهم من ارتكاب المعاصي والذنوب فجاءت كلمات "عرفات": "أفرحوا يا شباب واتبسطوا أفرحوا واتبسطوا واستبشروا خير ماتخافوش ولا تحزنوا عيشوا وأفرحوا اشتغلوا واكسبوا عارفين مين أوحش الناس أسوء الناس اللي يوعظ الناس ينهاهم عن حاجة وهو يعملها يخوف الناس من الفقر وبيته مليان خير يكلم الناس عن الزهد ودولابه مليان عبايات وجلاليب ماحدش يوعظ الناس بالخوف والفقر إلا الشيطان وبس لكن اللي يعرف ربنا حقيقي يوعظ الناس بحسن الظن والفرح كل واحد فيكم نعمة مالهاش زي عشان تبقى نعمة كبيرة تبقى نعمة حقيقة لازم تبقى نعمة لك ولغيرك اللي يكره حياته عمر ما يحب آخرته". وحرص أيضًا على إرجاع صندوق الجامع وصرف أمواله على الفقراء والمحتاجين. وكذلك تدخله عندما جمع العمدة أهل الجزيرة و"مليحة" جدة "سندس" التي قتلت وفي اعتقادهم أن بقتلها شح رزق البحر لذا يجب القصاص من القاتل وهم "قدري" ابن "بطلان" الذي غرق في منزله على الرغم من محاولة والده حمايته وعدم تسليمه وعلى الرغم من محاولته الاختفاء في غرفته إلا أن نهايته جاءت مثل نهاية القتيلة، وكذلك نهاية "نجاح" ابن "هلالة" الذي حاول أن يهرب من الجزيرة إلا أنه هرب في مركب به عيب مما جعله يموت غرقًا هو أيضًا، ولم ينجو سوى "حمدي" الذي بالفعل لم يقتل ولكنه ساهم في التستر على الجريمة وقد سامحته "مليحة" بسبب كلمات "عرفات" لها بأن سندس ستفرح إذا سامحته. وبهذا لعب عرفات دورًا في إنقاذ حياة شخص مما يستثير "خلدون" الذي يسعى إلى الدمار والقتل والخراب. لذا ذهب إلى

"محارب" وحاول إثارة الغيرة في قلبه ناحية "عرفات" وأن "عجمي" فضله عليه لأنه يخاف من رجل الدين فيوضح كلام "خلدون" الصراع على السلطة بين رجل الدين والحاكم واحتياج كل منهما للآخر.

أهم النتائج:

1. عكست الدراما التليفزيونية المصرية الحياة اليومية، حيث جاءت أشكال التدين متقاربة إلى حدٍ بعيد مع أشكال التدين لدى المصريين في الوقت الحالي.

2. جسد المسلسل الصراع بين رجال الدين ورجل السلطة.

3. يتضح أهمية مهنة رجل الدين ليس فقط في المسلسل ولكن في الواقع الاجتماعي أيضًا فإذا نظرنا إلى رجل الدين في فترة كل من: الخديوي عباس الثاني، والرئيس أنور السادات – وهي الفترات التي تناولها المسلسل– يتضح أهمية هذا المنصب فيذكر التاريخ أن الشيخ "الشربيني" تولّى مشيخة الأزهر، بعد إلحاح من الخديوي عباس حلمي الثاني لقبول هذا المنصب، وذلك في عام 1908م. أمّا عن عصر الرئيس السادات فقد استقال الشيخ "عبد الحليم محمود" عن منصب شيخ الأزهر اعتراضًا على قرارات السادات حيث إنه في يوليو 1974 صدر قرار جمهوري بتنظيم شئون الأزهر وتحديد مسئولياته ليكون الأزهر تابعًا لمسئولية وزير شئون الأزهر وتقليص صلاحيته لصالح وزير الأوقاف مما يفقده استقلاله. إلا أنه صدر قرار آخر بمساواة شيخ الأزهر بالوزير في راتبه ومعاشه ثم صدر قرار آخر بمساواته برئيس الوزراء. وفي هذا تفسير لاختيار هاتين الفترتين لسرد أحداث المسلسل خلالهما.

4. صور المسلسل استمرار الصراع الأزلي بين الخير والشر، واستغلال رمز الشر "خلدون" لنقائص أهل الجزيرة لفرض سيطرته ووصوله إلى المنبر وهو يمثل رمز لقمة الهرم الاجتماعي والحراك الاجتماعي الصاعد له. فقد صعد من مجرد غجري لا أصل له إلى اعتلاء سلم الطبقة الاجتماعية عندما صعد للمنبرر وخطب في الناس وأصبح إمام الجامع.

الاستخلاصات:

– اتضح من الدراسة التشابه بين أنماط التدين التي عرضها المسلسل وبين أنماط التدين الموجودة في المجتمع المصري وفق الدراسة التي قام بها أحمد زايد عن التدين في الحياة اليومية وخاصة: النمط النشط سياسيًا والنمط الشكلاني والنمط الأصيل أو المنشيء.

– جسد المسلسل الصراع الخفي بين رجل الدين ورجل السلطة للسيطرة على الجموع. واحتياج كل منهما للآخر فرجل السلطة يحتاج لرجل الدين لكسب شرعية قراراته ورجل الدين يحتاج لرجل السلطة لما يمتلكه من قوة ومال وقرارات نافذة.

– كشف العمل الفني عن مدى التنافس على مهنة المشيخة لما تحمله من امتيازات وحراك اجتماعي صاعدًا. لدرجة أن من يمثل رمز الشر أو الشيطان في المسلسل هو أيضًا يسعى للتدرج الاجتماعي عن طريق اعتلاء المنبر.

خاتمة:

تلعب المهنة دورًا مهمًا في الحراك الاجتماعي لدى علماء الاجتماع، وهذا ما تبين من خلال البحث. وقد اتضح أيضًا أن التدين ليس مجرد مجموعة من العبادات تقام بين العبد وربه أو سلوكيات للنجاة من النار ودخول الجنة في الآخرة؛ بل يمثل التدين معيارًا اجتماعيًّا ومتغير من متغيرات الحراك الاجتماعي ومكانة يتنافس عليها الأشخاص للحصول عليها. فمهنة رجل الدين ذات شأن خاص فهي مهنة، وعلم، وثروة، ومصدر للدخل أيضًا، وكل هذا من مقايس الحراك الاجتماعي، فبالفعل يمكن القول أن الحراك الاجتماعي هو حراكًا مهنيًّا.

يُعد تقسيم فولتير لرجال الدين من أصدق التقسيمات فقد جسد المسلسل النماذج الثلاثة لرجل الدين: الشرير"محارب" والجاهل "يسري" والناضج المتسامح "عرفات"، كما أن المسلسل يوضح استمرارية هذه النماذج من خلال أخر مشهد وهو احتضار عرفات وتوزيع منزله/غرفته، ومكانه في الجامع/المشيخة، وسبحته كما فعل شيخه "مدين" وكأن التاريخ يُعيد نفسه "محارب" و"يسري" و"عرفات" يقابلهم "أنس" و"سمير" و"حسن".

قائمة المراجع:

1. أبو الرُّب. صلاح الدين محمد (2017) السياسة الإسلامية والإسلام السياسي، المملكة الأردنية الهاشمية: دار الخليج ودار الهدى

2. أمزيان. محمد محمد (2018) منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، الولايات المتحدة الأميريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي

3. حسين. حسام كصاي (2015) نقد النظرية الثيوقراطية السياسية، الأردن: أمواج للنشر والتوزيع

4. خليل. ياسمين يسري (2016) الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الصناعية، دار المعتز للنشر والتوزيع

5. الدخيل. عبد العزيز عبد الله (2013) معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار المناهج للنشر والتوزيع

6. الربيعي. محمد كحط والانصاري. حسين (2015) الدور الثقافي للقنوات الفضائية العربية، القاهرة: مركز الكتاب الأكاديمي

7. زايد. أحمد (2008) التعليم والحراك الاجتماعي في مصر، شركاء في التنمية

8. زايد.أحمد (2005) تناقضات الحداثة في مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب

9. شبابحة، فضيلة (2018) الحركة الأمازيغة في ظل الحراك العربي الجزائر نموذجًا، القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع

10. عبد الحافظ. إسماعيل (2014) استراتيجية الاتصال الثقافي في الدراما المسلسلات التليفزيونية العربية، عمان: دار غيداء

11. عبد الحميد. سماح عبد الله (2017) القيم الاجتماعية في الدراما التليفزيونية، مصر: العربي للنشر والتوزيع

12. عبد الهادي. نبيل (2001) مقدمة في علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري

13. عفت. هبة محمد (2019) التسامح والدراما: نشر ثقافة التسامح بين الجمهور، مصر: العربي للنشر والتوزيع

14. غيدنز. أنتوني وصاتن. فيليب (2018) مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة محمود الذوادي، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

15. قاسم. حسن علي (2019) إنتاج المواد السمعبصرية: الأسس العلمية والمهنية، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع

16. كالهون. كريغ (2021) معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة معين رومية، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

17. كرومبتون. روزماري (2016) الطبقات والتراصف الطبقي، ترجمة محمود عثمان حداد وغسان رملاوي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات

18. النبالي. عبد الله العبد (2019) علم الاجتماع، عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع

19. Bukodi. Erzsebet & Goldthorpe.John H (2019) Social mobility and education in Britain; Research, politics and policy, Cambridge university press

20. Dubey. S.M (1975) Social Mobility among the professions: study of the professions in a transitional Indian city. India: Bombay popular prakashan

21. Dubrow.Irina Tomescu, Slomczynski. Kazimierz M, Domanski. Henryk, Dubrow. Joshua Kjerulf, Sawinski Zbigniew& Przybysz. Dariusz (2018) dynamics of class and stratification in Poland, New york: central European university press

22. Kamalipour. Yahya R. (1999) images of U.S. around the world ; a multicultural perspective, New York press: state University

23. Kelly. Anthony (2017) developing metrics for equity, diversity and competition; new measures for schools and universities, London and new york: routledge

24. Muller.Walter and Mayer. Karl Ulrich, (1971) Social stratiflcation and career mobility: papers of the international workshop on career mobility, konstanz Mouton. Paris. The Hague.

25. Payne. Geoff (2017) The new social mobility: how the politicians Got it wrong, Great Britain: Police press

26. Reddy. P.Chenna (2022) Revisiting India's past (commemoration volume to prof. vijay kumar Thakur) bluerose publishers

27. Schneider. Jens, Crul. Maurice, Pott. Andreas (2022) New social mobility second generation pioneers in Europe. Switzerland: Springer

28. Signorielli. Nancy (2005) violence in the media, United States of America: manufactured

29. Tiedeman. Anna Miller (1999) Learning, Practicing, and living the New Careering, Accelerated development